# ازدهار العلوم العربية والإسلامية في عصورها الزاهية وتطويرها في العصر الحديث

صلاح الدين محمد شمس الدين*
سيتي سارا بنت الحاج أحمد*

## ملخص البحث

إن اللغة العربية ليست أقل شأنا من اللغة السنسكريتية والبهلوية الفارسية واليونانية واللاتينية القديمة، بل إنما هي وعاء حضاري للتراث الفكري اليوناني واللاتيني القديم، فكانت سنداً قويا له من الضياع لمدة قرون، باعتبار أنه تراث إنساني مشترك؛ -إذ استخدمه المسلمون لتطوير علومهم وفنونهم. كما استخدم المسلمون في الشرق العلوم والآداب الغربية في العصر الحديث- لأنها ليست شرقية ولا غربية، وإنما هي جهود مشتركة للإنسانية جمعاء. وانتشرت المعارف والعلوم، وازدهر الأدب العربي، وانفتحت اللغة العربية على قواميس ولغات وألسنة أخرى من باب التلاقح والاختلاط

* أستاذ الأدب العربي والإسلامي بكلية اللغة العربية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية. البريد الإلكتروني:salahuddin.syamsuddin@unissa.edu.bn

* عميدة كلية اللغة العربية، ومساعد المدير لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي. البريد الإلكتروني:sara.ahmad@unissa.edu.bn

الحضاري والمحاكاة، حتى صارت العربية لغة العلوم – الرياضيات والفلك والهندسة والمنطقوالفلسفة والتصوف – والفلاحة والصناعة والاقتصاد، وازدهرت بجهود العلماء المتواصلة في البحث العلمي والاختراع والتجريب والتحصيل المعرفي والتصنيف في شتى المجالات التي اعترف المستشرقون بريادة العرب فيها. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي الذي يصلح دائما للبحث والدراسة في مثل هذه المواضيع اللغوية والأدبية. ووصل البحث إلى نتائج مهمة منها: أن الفضل في ازدهار العلوم العربية والإسلامية في عصورها الزاهية يرجع إلى هؤلاء العلماء العباقرة الذين ساهموا في وضع حجر الأساس للثقافة العربية والإسلامية، الذين انتصروا على خصومهم، وحافظوا على الدين الإسلامي الحنيف، وكانت لهم مواقف جليلة وبصمات واضحة في حماية الدين الإسلامي، والدفاع عن عقيدته ورسالته بكل إخلاص وحماس وأمانة.

**الكلمات المفتاحية:** العلوم العربية والإسلامية، المنطق اليوناني، الفلسفة الإسلامية، كتب التراث، تحديث العلوم اللغوية والبلاغية في العربية.

**Abstract**

Arabic language is not inferior to ancient Sanskrit, Pahlavi, Persian, Greek and Latin languages. Rather, it is a civilized vessel for ancient Greek and Latin intellectual heritage. It was a strong support for it from being lost for centuries, as it is a common human heritage. Muslims used it to develop their sciences and arts, as Muslims in the East also used Western sciences and literature in the modern era. It is neither Eastern nor Western, but rather a joint effort of all humanity. Knowledge and science spread, Arabic literature flourished, and Arabic language opened up to dictionaries, languages, and other tongues through cross-fertilization, cultural mixing and simulation, until Arabic became the language of sciences - mathematics, astronomy, engineering, logic, philosophy and mysticism - and agriculture, industry and economy, and flourished with the continuous efforts of scientists in the scientific research, invention, experimentation and knowledge acquisition and classification in various fields in which the Orientalists recognized the leadership of Arabs. The study used the descriptive approach, which is always suitable for the research and study in such linguistic and literary topics. The research reached some important results, including that the credit for the prosperity of Arab-Islamic sciences in its bright ages is due to those genius scholars who contributed to laying the foundation stone for Arab-Islamic culture who defeated their opponents, preserved the true Islamic religion and had great positions and clear fingerprints in protecting the Islamic religion, defending its faith and message with the sincerity, enthusiasm and honesty.

**Key words:** Arabic-Islamic sciences, Greek logic, Islamic philosophy, Heritage books, Modernization of linguistic and rhetorical sciences in Arabic.

## المقدمة: التعريف باللغة العربية

كل من يبحث في تاريخ اللغة العربية سيبجد نفسه في حيرة واستعجاب أمام التراث اللغوي الغني الذي أدهش العالم في تاريخه الطويل بالعطاء الغزير والإنتاج العلمي والأدبي الرائع للإنسانية جمعاء. وذلك لكون العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فنرى أن العربية كانت في العصر الجاهلي لغة الشعر والإبداع الفني، المتمثل في المعلقات السبع وقصائد الشعراء الصعاليك ومصادر الشعر العربي كالمفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب التي يرجع إليها كل من الباحثين والأدباء والنقاد في كل عصر ومصر. وقد تميزت اللغة العربية فيها بفصاحة الكلمات وبلاغة المعاني وروعة البيان والبديع وجودة السبك في نظم الكلام.

ولما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية وآسيا وأوربا كانت اللغة العربية أداة للتواصل والتفاهم مع الشعوب الأخرى.

والحق أن ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية كانت عاملا قويا من العوامل التي دفعت النقد العربي القديم في العصر العباسي إلى الأمام، وذلك لأنه قد انتقلت بترجمتها مظاهر أدبية ونقدية كان لها أثرها في الحركة العقلية للنقد الأدبي، فوضعت الأصول والنظريات، واستخدم المنطق في الجدل والحوار، وألفت الكتب النقدية التي تذخر بالمناهج العلمية والعقلية التي أسسها النقاد العرب. وقد ظهر أثر ذلك واضحا أيضا في تطور النقد العربي، وخاصة الأثر اليوناني (المنطق والفلسفة). وأول ما ظهر أثرهما كان عند المتكلمين الذين رأوا حاجتهم الملحة للفلسفة حتى يدافعوا المطاعن عن القرآن الكريم، فاستطاع علماء المسلمين عن طريق دراسة المنطق والفلسفة وبصفة خاصة كتابي (الشعر) و(الخطابة) لأرسطو أن يخرجوا بالنقد العربي من الجو العربي الخالص، إلى آفاق واسعة، فيها كثير من العلل والقياسات العقلية والمنطقية ذات السمات اليونانية، وظهر أثر هذا في القرن الرابع الهجرى بوضوح عند قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) وكتاب (نقد النثر) المنسوب إليه، رغم أن مؤلفه هو (ابن وهب) كما ظهر عند الروماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وظهر ذلك عند نقاد القرن الخامس الهجري كالباقلاني في (إعجاز القرآن) وابن سنان الخفاجى في (سر الفصاحة).[١]

[١] الدسوقي. عمر. (١٩٧٩م). حازم القرطاجني. (مقال) مجلة الثقافة، عدد فبراير، أصدرتها وزارة الثقافة المصرية، القاهرة.

ومن أهم العوامل التي أثرت في تطور النقد العربي القديم في العصر العباسى القرآن الكريم، فقد كان له أثر مباشر وغير مباشر، أما الأثر المباشر، فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن، وبيان جوانبه البيانية، محاولين إعجازه البياني بمقارنة الشعر العربي، وخصائص البيان العربي بصفة عامة، واستخدموا في ذلك الوسائل التي استخدمها نقاد الشعر، بل إن بعض الدراسات القرآنية في القرن الثالث الهجرى قد استخدمت من المصطلحات البيانية ما لم يكن شائعا حتى ذلك الوقت في دراسات نقد الشعر مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة.[٢]

فاختلطت مقاييس النقد الأدبي بالدراسات القرآنية، واستخدم علماء الإعجاز مصطلحات البديع وأبوابه في كشف بديع أسلوب القرآن للتوصل إلى إعجازه، ومن هنا أثر القرآن في مناهج النقاد، ودفعهم إلى بيان أوجه الإعجاز، فأقبلوا على إثبات إعجازه، وسمو بيانه على الشعر العربي، وعقدوا لذلك المقارنات، كما فعل عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) والباقلاني في تفسيره البياني. وأما عن الأثر غير المباشر فقد جاء عن طريق ترقيق القرآن لأذواق النقاد، بما جرى به أسلوبه من الصياغة الرائقة والصور الجميلة ذات التشبيهات والاستعارات الرائعة، مما جعل

[٢] سلام. محمد زغلول. (بدون تاريخ). أثر القرآن في تطور النقد العربي. القاهرة: دار المعارف. ص: ١٠١

العلماء يستشهدون بصياغته، وتشبيهاته على كل جيل، وصارت شواهد القرآن في مقدمة الشواهد الأدبية في كتب النقد والبلاغة.

## ١. دور علماء العربية في تطوير العلوم العربية في عهدها القديم

### أ. اللغة العربية والفلسفة

كان للعرب شغف خاص بلغتهم، وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة المفردات ووفرة في صور التعبير، وبما في طبيعتها الاشتقاق أن تتبوأ مكانها بين لغات العالم، ولو قَارَنَّاهَا باللغة اللاتينية في ثقلها وقلة مرونتها، أو باللغة الفارسية في فرط إسهابها لوجدناها تمتاز بما فيها من صور لفظية قصيرة المعاني المجردة، وهذه خاصية عظيمة النفع في ممارسة العلوم، فنحن نستطيع أن نعبر بهذه اللغة عن أدق الفروق بين المعاني. – إن اللغة العربية وفيها من جمال البيان وقوة الدلالة– كان ضروريًا القيام بأبحاث كثيرة عندما صارت لغة العلم عند السريان والفرس. يقال إن أهل البصرة قد جعلوا للقياس شأنًا كبيرًا في الأحكام المتعلقة بأمور اللغة، كما فعل البغداديون فيما بعد، على حين أن نحاة الكوفة ترخصوا في أمور كثيرة تشذ عن القياس؛ ولهذا سمي نحاة البصرة "أهل المنطق". وقام جدل كبير من بعد حول مسألة البلاغة أهي في اللفظ أم في المعنى؟ ثم دار البحث

في اللغة أهي توفيقية فطرية أو من وضع الإنسان، وبالتدريج رجحت كفة الرأي الفلسفي القائل بأنها اصطلاح من وضع الإنسان.[٣]

### ب. الفلسفة الإسلامية

لا شك أن أقرب كلمة مستخدمة في (القرآن والسنة) لكلمة (فلسفة) هي (الحكمة)؛ لهذا نجد الكثير من الفلاسفة المسلمين يستخدمون كلمة (حكمة) مرادفًا لكلمة (فلسفة) التي دخلت إلى الفكر العربي الإسلامي تعريبًا لكلمة (*Philosophy*) اليونانية، وكثيرًا ما استخدم العديد من أعلام الصوفية لقب (حكيم) لكبار شخصياتهم مثل الحكيم الترمذي، وظل لقب (فيلسوف/ فلاسفة) حصرًا على من عمل في الفلسفة ضمن سياق الفلسفة اليونانية.

بدأت الفلسفة في الحضارة الإسلامية بوصفها تيارًا فكريًا في البدايات المبكرة للدولة الإسلامية الذي بدأ بعلم الكلام، ووصل الذروة في القرن التاسع عندما أصبح المسلمون على اطلاع بالفلسفة اليونانية القديمة والذي أدى إلى نشوء الرعيل الأول من الفلاسفة المسلمين الذين كانوا يختلفون عن علماء الكلام؛ إذ إن علم الكلام كان يستند أساسًا

[٣] انظر: المقال بعنوان: "مساهمات اللغويين في تطوير العربية" (ديسمبر ٢٠١٢م) (إنترنت).

على النصوص الشرعية من القرآن والسنة والأساليب المنطقية اللغوية لبناء أسلوب احتجاجي يواجه به من يحاول الطعن في حقائق الإسلام، في حين أن الفلاسفة المشائين، وهم الفلاسفة المسلمون الذين تبنوا الفلسفة اليونانية، فقد كان مرجعهم الأول هو التصور الأرسطي أو التصور الأفلوطيني الذي كانوا يعتبرونه متوافقًا مع نصوص وروح الإسلام. ومن خلال محاولاتهم لاستخدام المنطق لتحليل ما اعتبروه قوانين كونية ثابتة ناشئة من إرادة الله، فإنهم قاموا في البداية بالمحاولات الأولية التوفيقية لردم بعض الهوة التي كانت موجودة أساسًا في التصور لطبيعة الخالق بين المفهوم الإسلامي لله والمفهوم الفلسفي اليوناني للمبدأ الأول أو العقل الأول. وبعد دمج الفلسفة في الدين، تطورت الفلسفة الإسلامية من مرحلة دراسة المسائل التي لا تثبت إلا بالنقل والتعبّد إلى مرحلة دراسة المسائل التي ينحصر إثباتها بالأدلة العقلية، ولكن النقطة المشتركة عبر هذا الامتداد التاريخي كان معرفة الله وإثبات الخالق، بلغ هذا التيار الفلسفي منعطفًا بالغ الأهمية على يد ابن رشد من خلال تمسكه بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة.

أول من برز من فلاسفة العرب كان الكندي الذي يلقب بالمعلم الأول عند العرب، من ثم كان الفارابي الذي تبنى الكثير من الفكر الأرسطي من العقل الفعال وقدم العالم ومفهوم اللغة الطبيعية.

وأسس الفارابي مدرسة فكرية كان من أهم أعلامها: الأميري والسجستاني والتوحيدي. وكان الغزالي أول من أقام التوفيق بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بيّن أن أساليب المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصولة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية. فتوسع الغزالي في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول الفقه، لكنه بالمقابل شن هجومًا عنيفًا على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشائين في كتاب "تهافت الفلاسفة"، رد عليه لاحقًا ابن رشد في كتاب "تهافت التهافت".

والفارابي أهم من استطاع إيصال وشرح علوم المنطق بالعربية، من خلال "كتاب الحروف": يحتل كتاب الحروف للفارابي أهمية خاصة بين أعماله ويعتبر الكتاب بحثًا في الفلسفة الأولى، فضلا عن نقاش علماء اللغة والكلام حول الكثير من الإشكاليات التي كانت تتعلق أساسًا بعلاقة اللغة والمنطق وقضية اللفظ والمعنى. حاول الفارابي شرح كيفية تكوّن المعرفة بدءًا من الإحساس فالتجربة فالتذكر فالفكرة من ثم نشأة العلوم العملية والنظرية، وبين الفكرة ونشأة العلوم. فبعد تولد الفكرة عند الإنسان تأتي الإشارة، ثم الأصوات، ومن تطور الأصوات تنشأ الحروف والألفاظ. وهكذا تتشكل الألفاظ والكلمات: المحسوس أولا ثم صورته في الذهن ثم اللفظ المعبر عنه. في مرحلة لاحقة تتكون العبارات

والتعابير من دمج الكلمات والألفاظ لتعبر ليس فقط عن الأشياء بل عن العلاقات التي تربط بينها. الفارابي هنا يستخدم أسلوبًا برهانيًّا ليحدد العلاقة بين اللفظ والمعنى ويقرر أسبقية المعنى على اللفظ، وبنفس السياق أيضًا يقرر أن نظام الألفاظ (اللغة) هي محاولة لمحاكاة نظام الأفكار (في الذهن)، وما نظام الأفكار في الذهن إلا محاولة لمحاكاة نظام الطبيعة في الخارج من علاقات بين الأشياء الفيزيائية المحسوسة. فضلا عن ذلك فقد تقرر نتيجة تحليل الفارابي أن هناك نظامين: نظام للألفاظ يحاول محاكاة ترتيب العلاقة بين المعاني في النفس، ونظام آخر مستقل للمفهومات والمعقولات تحاول محاكاة ترتيب الأشياء الحسية في الخارج الفيزيائي. ومن هنا ضرورة وجود علمين: علوم اللغة أو علم اللسان الذي يعني بَصَرَ ألفاظ اللغة وعلاقاتها مع مدلولاتها ومعانيها. وعلم المنطق الذي يعني بترتيب العقل للمفاهيم وطرق الاستنتاج السليم للقضايا من البدهيات أي قواعد التفكير السليم. يلي ذلك حسب ترتيب الفارابي مرحلة جمع اللغة وصون الألفاظ من الدخيل والغريب، ثم تقنين اللغة عن طريق وضع القواعد التي تضبط طريقة كتابتها ونطقها (نشأة علم النحو).[٤]

[٤] المرجع السابق، المقال نفسه.

## ج. المنطق اليوناني والعلوم العربية

واهتم العرب بمنطق أرسطو منذ ابن المقفع، فأخذوا يترجمونه أولا، ثم مضوا يشرحونه ويلخصونه فى مصنفات كثيرة، واحتكموا إلى هذا المنطق أو استلهموه فى وضع علومهم، ونحن نجده ماثلا فى علم الفقه وأصوله؛ إذ يتحدث الفقهاء عن الحدود والتعاريف والكلى والجزئى والعام والخاص والقياس، وبالمثل نجده بارزا فى علوم اللغة والنحو؛ إذ نرى النحاة منذ (الخليل بن أحمد الفراهيدي) يتوسعون فى الكلام عن القياس، كما يتوسعون فى بيان العلل الأربع: (المادية والصورية والفاعلية والغائية). ولكن النحاة والفقهاء وغيرهم من علماء العرب اهتدوا مبتكرين إلى أن القياس الأرسطى قياس رياضي، فهو يبدأ من العام الكلى ويطبق على المفردات الجزئية. وقد تطرد صحة ذلك فى العلوم الرياضية، أما فى العلوم الطبيعية والإنسانية، فلا بد من الانتقال العكسى أى من الأفراد والمفردات إلى الكلى العام حتى يكون القياس سديدا. وكان لذلك أثر بعيد فى العلوم العربية؛ إذ عد الاستقراء والملاحظة أصلين أساسيين فيها، وضمت إليها فى العلوم الطبيعية التجربة، وبذلك أمكن للعلوم العربية أن تنهض نهضتها العظيمة فى كل مجال من مجالات العلوم والفنون والآداب.

وكان أهم بحث أدبى عند العرب يتضح فيه تأثير المنطق الأرسطى والتأثر بمنهجه كتاب (البرهان فى وجوه البيان) لابن وهب الذى نشر خطأ

باسم (نقد النثر) ونسب إلى قدامة بن جعفر، ونرى مؤلفه يعقد فيه فصلا للقياس يتحدث فيه عن الحد والوصف والمقولات واستخدام هذه الأنواع فى العربية، وهو فى كل ذلك متأثر بالمنطق الأرسطى مع ما أضاف إليه من بحوث المتكلمين والفقهاء ومواضعاتهم ومقالات الفلاسفة الإسلاميين وأفكارهم.

ووضعت للعلوم الدينية مناهجها التى تعنى بها مباحث علم الأصول، والتى تتناول الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وبالمثل وضعت أصول للنحو واللغة على نحو ما يتضح ذلك فى كتاب (الخصائص) لابن جني.[٥]

وعلى هذا النحو كان العرب يستضيئون بمنطق أرسطو فى بحوثهم الأدبية مع محاولات خفية للعناية بالجزئيات والمفردات واكتمال الاستقراء وصحة الاستنباط، واتسعوا فى الملاحظات سعة شديدة، وهى تقابل فى البحوث الأدبية التجارب فى البحوث العلمية عندهم، وقد ظلوا مع ذلك يحتكمون إلى المنطق الأرسطي، مكثرين من القواعد والأقيسة.

[٥] ضيف. شوقى. (١٩٧٢م). البحث الأدبي. القاهرة: دار المعارف. الطبعة السابعة. ص:٨١

وهم فى كل هذا يختلفون عن علماء العصور الوسطى الغربيين فى تعبدهم لمنطق أرسطو، فقد عكسوا بواسطة الاستقراء: الانتقال من العام إلى الخاص؛ إذ جعلوه الانتقال من الخاص الجزئى إلى العام الكلى، ووقفوا فاعلية منطق أرسطو وأقيسته؛ إذ أدخلوا عليه التجربة والملاحظة فى إثبات الحقيقة بدون حاجة إلى حدود ومقولات وأقيسة.[٦]

إن الكتابات الأرسطية وبخاصة (الأورجانون) الذى كان قد ترجم بالفعل إلى اللغة العربية بأقلام ابن رشد وابن سينا والفارابى والكندى وغيرهم فى القديم، وعبدالرحمن بدوى فى العصر الحديث، يعرف بالوسيلة أو الأداة فى اللغة العربية. وقد استخدمت هذه اللفظة اليونانية كعنوان لمجموعة مؤلفات أرسطو بمعنى الوسيلة إلى التفكير وإلى الحكم على صحته أو فساده بالوسائل المنطقية التى حددها أرسطو فى كتبه.[٧]

## ٢. العصور الزاهية للغة العربية وعلومها

كما رأينا أن اللغة العربية عرفت أوجها الحضاري مع الدولة العباسية التي امتدت في رقعة شاسعة ولاسيما مع عهد الخلفاء الثلاثة: أبي جعفر

[٦] ضيف. شوقى. (١٩٧٢م). البحث الأدبي. القاهرة: دار المعارف. الطبعة السابعة. ص:٨٢-٨٣

[٧] مندور. محمد. (بدون تاريخ). الأدب وفنونه. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر. ص: ٦

المنصور والمأمون وهارون الرشيد. وحظيت العربية بأهمية كبرى باعتبارها لغة الترجمة لفكر اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية والرومانية كما تمظهر ذلك بالوضوح التام في بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون لنقل الإرث الثقافي اليوناني إلى اللغة العربية. وفي هذه الفترة انتشرت المعارف والعلوم وازدهر الأدب العربي وانفتحت اللغة العربية على قواميس ولغات وألسنة أخرى من باب التلاقح والاحتكاك الحضاري والمحاكاة.

وصارت اللغة العربية لغة العلوم: الرياضيات والفلك والهندسة والمنطق والفلسفة والتصوف والفلاحة والصناعة والاقتصاد، وازدهرت بجهود العلماء المتواصلة في البحث العلمي والاختراع والتجريب والتحصيل المعرفي والتصنيف في شتى المجالات التي اعترف المستشرقون بريادة العرب فيها كما نجد عند العالمة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها القيم "شمس العرب تسطع على الغرب". وانتقلت الحضارة العلمية والأدبية إلى أوربا عبر إيطاليا والأندلس والحروب الصليبية والخلافة العثمانية. وتعلم الأوربيون اللغة العربية وآدابها وعلومها في مراكز طليطلة وفاس ومدن المغرب العربي.

إلا أن المسلمين انحرفوا عن تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) وأصبحوا ضحايا للذلة والهوان بعد أن كانوا أسيادا، فسلط الله عليهم كثيرا من الغزاة والأعداء يذيقونهم أنواعا شتى من الآلام

النفسية والاجتماعية كالاستبداد والاستعباد والاستعمار والقتل والذبح والتجويع. فآل العالم الإسلامي إلى هاوية الانحطاط والتخلف عن ركب التقدم التنموي الذي سبق إليه الأوربيون والأمريكيون بفضل اهتمامهم بالعلم وتشجيع العلماء. وكان من نتائج هذا التخلف تراجع وضعية اللغة العربية في العالم العربي والإسلامي وتشكيك الناس في قدراتها التعبيرية والتداولية؛ لأنها لم تعد في عيونهم لغة الحضارة والعلم والتكنولوجيا، بل لغة الماضي والبداوة والأسلاف وتراثهم الميت. ومن ثم، انشغلت عقول المثقفين العرب في مناقشات لا تنتهي حول موضوع اللغة الفصحى وقضية الأصالة والمعاصرة وكيفية التعامل مع الغرب منذ عصر النهضة إلى يومنا هذا.[٨]

### ٣. غياب الإبداع والإنتاج العلمي من العربية في العصر الحديث

ثمة عدة أسباب التي تمنع اللغة العربية وتبعدها عن الإبداع الفني، وتمنعها من استخدام قدراتها التعبيرية على الإنتاج العلمي، يمكن حصرها في ما يأتي:

**أ.** خروجنا عن سنة النبي ﷺ، وعدم فهمنا جيدا لتعاليم القرآن ومبادئ الإسلام السمحة التي تدعو المسلمين قاطبة إلى الاهتمام

[٨] مقال: حمداوي. جميل (ديسمبر، ٢٠٠٦م). اللغة العربية وتدريس العلوم. (ديسمبر، ٢٠٠٦م) المنشور على صفحات (الإنترنت).
https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/٦٦٩١٨.html

بالعلم وتشجيع العلماء وربط البحث العلمي بالأخلاق وتحقيق المنافع للناس.

**ب.** الاستعمار الذي اتخذ وجوها عدة ظاهرة وخفية تقف في وجه تقدم الشعوب الإسلامية عن طريق العدوان والترهيب والتهديد والتجويع.

**ج.** إن معظم الدول العربية والإسلامية غير ديمقراطية تحارب شعوبها وتقف في وجه علمائها بالمرصاد والتجويع والنفي والاعتقال والإعدام. مثل: مصر وسوريا والعراق وغيرها. كما تهمل البحث العلمي ولا تعطيه أدنى اهتمام ولا تخصص له ما يستحقه من إمكانيات مادية ومالية وبشرية لتحقيق طفرة تكنولوجية وتنمية علمية.

**د.** فاعلية سائر الشعوب العربية والإسلامية معطلة وشئونها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية معتلة وهي تواجه أزمات خطيرة من الصعب أن نجد لها العلاج. ولها تأثير كبير على المؤسسات والمعاهد والجامعات العربية والإسلامية التي لم تعد قادرة على مواكبة التطورات العلمية الهائلة والمخترعات التقنية العديدة التي شهدتها العقود الأخيرة وخاصة في مجال المعرفة الرقمية والاتصالات والاقتصاد. فلها عوامل وأسباب داخلية وخارجية.

هـ. هذه الأسباب جعلت اللغة العربية عاجزة عن منافسة اللغات الأجنبية، ومن بينها الإنجليزية التي أصبحت لغة العلم والتكنولوجيا. والسبب في ذلك قصور العرب والمسلمين عن الإبداع والاختراع والاكتشاف، والاتكال على الغرب في استيراد النظريات ونقل التكنولوجيا والمعارف العلمية التي استوجبت الإلمام بهذه اللغات للتدريس بها، والتعامل بها في الأسواق والإدارة ومراكز التعليم.

وكان من نتائج هذه الظاهرة "أن تخلى كثير من الباحثين العرب والعلماء المسلمين عن توظيف اللغة العربية، لأنها لم تعد لغة العلم، كما أن جل المخترعات والمنجزات المعرفية والفنية والأدبية تكتب باسم أصحابها وبمصطلحات أجنبية من الصعب ترجمتها أو تعريبها أو تحويرها توليدا أو اشتقاقا.

كما أن اللغة لها علاقة جدلية بالفكر، فكلما كان هناك إبداع فكري متطور كانت اللغة على حال هذا الفكر، وكلما انحط الفكر كانت اللغة على منواله منحطة ومتخلفة وعاجزة عن المواكبة والمسايرة.

كما أن انعدام الوعي وفقدان الثقة في قدرات العربية وعدم الاعتزاز بها يمنعنا من التعبير بالعربية ونلتجئ إلى اللغات الأخرى في إعداد البحوث والمقالات والكتب قصد اللحاق بالركب الحضاري العالمي.

كما يساهم الإعلام والاقتصاد والواقع المرير لعصر العولمة في تهميش اللغة العربية وتقوية اللغات الأجنبية، وقد دفعت العولمة كثيرا من اللغات الوطنية للشعوب الضعيفة المغلوبة المنطوية على نفسها انغلاقا وحصارا إلى الاندثار والموت، وبالتالي تعززت اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة الحضارة والحياة المعاصرة والتواصل العالمي؛ مما أثر ذلك سلبا على الإنسان العربي ولغته التي لم تعد قادرة على المواكبة الفورية للمستجدات المعرفية والعلمية والتقنية المعاصرة بعد تطور الوسائل الرقمية والأقمار الفضائية الاصطناعية بسبب انعدام الاستراتيجيات السياسية والتربوية الحقيقية الكفيلة بتطوير اللغة العربية وتهذيبها وجعلها لغة العلم والتقنية والتدريس والمعاملات الإدارية والاقتصادية.

فيتضح مما تقدم أن هناك عوامل داخلية وعوامل خارجية هي السبب في فقدان القدرة على الإبداع الفني والإنتاج العلمي والثقافي باللغة العربية.[٩]

### ٤. تطور اللغة العربية بتطور العلوم الإنسانية

إن أية لغة لكي تصير لغة علم لا بد أن تكون كل مستوياتها الصوتية والصرفية والأسلوبية سهلة طيعة وغنية بالدلالة والاشتقاق. وهذا ما كانت عليه اللغة العربية في القديم، وفي كل العلوم التي برع فيها العرب، فتطوير اللغة ليس قاصرًا على اللغوي فقط، بل هناك كثير من علماء العرب المسلمين قد ساهموا في تطوير العلوم الإنسانية بالعربية.

وهكذا يتبين لنا أن اللغة العربية ليست ضيقة ولا عاجزة عن المواكبة لنتائج العلم، بل هي صالحة للتدريس العلمي والتقني بسبب اتساع طاقتها الاستيعابية المعجمية بالمقارنة مع اللغات الأجنبية. ومن المزايا الإيجابية للغة العربية أنها تستفيد من ظاهرة الإعراب والتصريف والاشتقاق،

[٩] مقال: حمداوي. جميل (ديسمبر، ٢٠٠٦م). اللغة العربية وتدريس العلوم. (ديسمبر، ٢٠٠٦م) المنشور على صفحات (الإنترنت).
https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/٦٦٩١٨.html

والتعريب والتعجيم، وكل هذا يساعدها على الانفتاح والاستفادة من كل لغات العالم.

### ٥. العلوم اللغوية في العربية واللسانيات الحديثة

إن اللسانيات نوع جديد من أنواع الدراسة اللغوية يعتمد مناهج ووسائل محدثة لا تقتصر على هذه اللغة دون غيرها. لذلك لا بأس من إضافة هذا الدرس إلى العلوم العربية اللغوية. وقد ظهر في هذا الدرس كتب عديدة، مثل: (اللغة العربية معناها ومبناها) للدكتور تمام حسان، و(التفكير اللساني في الحضارة العربية) للدكتور عبد السلام المسدي، و(مبادئ اللسانيات) للدكتور أحمد محمد قدور الذي يرى أن الدرس اللساني العربي المقترح لا يمكن أن يكون صحيحا ما لم يكن مسبوقا بكشف دقيق لإنجازات علماء العربية في كل مجال من مجالات درسها، وفهم واع لمناهج الدرس اللساني المستجلب ومقاصده.[١٠]

شهدت الدراسات اللغوية في الغرب منذ القرن التاسع عشر توسعا ونضجا. وقد بعث هذا التطور نهضة علمية لاتزال آثارها ممتدة حتى أيامنا هذه. ولم تكن هذه الدراسات التي صارت تدعى باللسانيات (Linguistics) في سعيها إلى الدرس العلمي للظواهر اللغوية. وقد مهد

[١٠] قدور. أحمد محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص: ٦-٧

هذا الاتصال، وما ينطوي عليه من تأثر وتأثير، لنشأة فروع علمية جديدة، كانت اللسانيات الطرف الأساسي فيها كاللسانيات النفسية والاجتماعية والجغرافية ونحوها. وقد شهد القرن الثامن عشر ظهور الفيلولوجيا (Philology)التي ترجم خطأ إلى (فقه اللغة) بالعربية، ولكنها لم تتعد حدود العمل التمهيدي اللازم لدراسة اللغة. إلا أن (فرديناند دوسوسير، ت: ١٩١٣م) جعل اللسانيات واضحة الحدود من حيث الاختصاص الذي صار يشمل جميع قطاعات اللغة على حد سواء، كالأصوات والصرف والنحو والمعجم والدلالة، ومن حيث المناهج التي نضجت وآتت أكلها كالمنهج التاريخي والمقارن والوصفي. ولما بدأت معالم هذا العلم الجديد تلوح في الدرس اللغوي الحديث عند العرب انقسم الدارسون العرب بين من هون من شأن هذا العلم ومن عظمه. فالذين هونوا منه لم يقفوا على مبلغ ما فعله في الغرب حتى يقدروه حق قدره. أما الذين عظموه فقد جعلوا منه قطب الرحى في كل دراسة، وصغر لذلك في عيونهم ما أنجزته الدراسات العربية القديمة في اللغة ومناهجها.[١١]

والحق "أن اللسانيات ينبغي أن تكون عامل (تحديث) لا عامل (تهديم)، وأن يكون ما يفيد منها إلى درسنا على سبيل الإضافة والإثراء

[١١] قدور. أحمد محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص: ٥

وليس على سبيل المسخ والإلغاء. فمن الإفادة المرجوة مثلا تحديث مناهج الدرس اللغوي، وتخليص هذا الدرس مما لحق به من معطيات خارجة عن مجال اللغة، وابتناء علوم لغوية جديدة على هدى من الأنظار الحديثة كعلم الأصوات وعلم الدلالة والمعجمية، مما لم يعرف في درسنا ضبطا منهجيا أو إطارا معرفيا (إبستيمولوجيا)، مع كثرة الجهود وسعة المعطيات. كما يمكن لفقه اللغة العربية أن يفيد من الكثير من نتائج الدراسات اللسانية المقارنة، والدراسات الفيلولوجية لمعرفة مكان العربية بين أخواتها عبر التاريخ، وأن يفيد من نتائج الدرس التأصيلي (*Etymology*) لمعرفة مصادر المعَرَّب معرفة صحيحة، ونحو ذلك كثير".[١٢] وخاصة من علم الدلالة، لأن العرب كان لهم فضل السبق في العلم بالأصوات، وإيجاد المعاجم. ومعلوم أن علم الدلالة من قطاعات الدرس اللساني الحديث، ومجال هذا العلم دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من مسائل. والحق أن نمو علم الدلالة الحديث وتشعب مقارباته المنهجية – كما يقول عبد السلام المسدي – جعله قطب الدوران في كل بحث لغوي مما لا

[١٢] قدور. أحمد محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص: ٦

ينفصل عن نظرية الإدراك وفلسفة المعنى.[١٣] ولذلك بات علم الدلالة أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح.[١٤]

ولكن هذه الإفادة لا تعني بحال من الأحوال إلغاء لأي ضرب من ضروب المعرفة اللغوية عند العرب كالنحو والصرف وفقه اللغة ومعطيات الدلالة والمعجم بحجة التجديد أو مجاراة العصر، كذلك ينبغي التنبيه على أن أي استمداد من المناهج الحديثة لا يجوز أن يؤدي إلى تجاوز لخصوصية العربية الفصحى وما يحيط بها من ظروف تاريخية وحضارية وقومية.[١٥]

## ٦. صلاحية اللغة العربية لتكون لغة العلم والتكنولوجيا

نحن لسنا في حاجة إلى هذا السؤال: هل تصلح اللغة العربية لأن تكون أداة العلم والتكنولوجيا؟ إن اللغة العربية صالحة لأن تكون وعاء حاملا للعلوم والتكنولوجيا، كما كانت في عصورها الزاهية، لأنها بفخامة ألفاظها ونصاعة بيانها وجزالة كلماتها وصرامة تركيبها كانت لغة العلم والفنون والآداب، حتى كان يقبل الشعوب الأخرى على تعلمها ومدارستها

[١٣] المسدي. عبد السلام. (بدون تاريخ). قاموس اللسانيات. ص: ٢١-٢٢
[١٤] قدور. أحمد. محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص: ٢٧٩
[١٥] قدور. أحمد. محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص: ٦

والبحث من خلالها، كما كانت اللغة المفضلة لكثير من الشعوب والأجناس كفارس والأندلس ودول المغرب الإسلامي. ولقد انتقلت كثير من المؤلفات والمصنفات إلى أوربا باللغة العربية، وتم نقلت محتوياتها ومضامينها إليها عن طريق الترجمة كما فعل كثير من العلماء والمستشرقين الغربيين مع ابن رشد وابن سينا والزهري والخوارزمي وابن النفيس وغيرهم.

إن اللغة – أية لغة – مرتبطة بمستوى الفكر، لأن الفكر هو الذي يصنع اللغة في نفس الوقت تصنعه اللغة كما قال (جون دو لاكرو) *John D. Lacroix*: إن الفكر جسد اللغة، واللغة هي ثوب الفكر، كما ينص على ذلك (موريس ميرليوبونتي): (*Maurice Merleau-Ponty*) يعني أن اللغات لا تكون غنية بكثرة مفرداتها فحسب، وإنما بغزارة أفكارها. فإذا كانت الأمة متقدمة على صعيد العلوم والتكنولوجيا والفنون والآداب، حتما ستتقدم اللغة بدورها مادامت هي حاملة للفكر وأداة للتواصل والتبليغ.

وفي الحقيقة يرتبط تقدم اللغة دائما بتقدم فكر الأمة وإبداعها وإنتاجها. وعندما نطالب بتدريس العلوم باللغة العربية لا يعني هذا عدم الانفتاح على اللغات الأخرى والانطواء على الذات، فالعربية قابلة للاختلاف والحوار والمناقشة منذ القديم أثناء احتكاكها مع الشعوب

المجاورة. إن اللغة هي أس الحضارة والثقافة لكل أمة، وعليها أن تكون لسان الحداثة والتقدم والحياة الحاضرة مسايرة للمستجدات الآنية ومتطلبات العصر.[١٦]

## ٧. الرد على الآراء المنحرفة ضد العلوم البلاغية

نحن نؤيد حركة الاستشراق كمنهج علمي موضوعي معروف، ولكن لا يمكن أن نوافق على تلك الآراء المنحرفة عن جادة الصواب، لهؤلاء الذين يقولون "إن العلوم البلاغية لم تمتلئ بالخطأ والتقصير فحسب، بل هي أخذت وجهة خاطئة منذ بدايتها، فكان من المستحيل أن تنتج شيئا ذا قيمة في تذوق الأدب والكشف عن جماله الحق. هذه العلوم قد دونها في الأغلب رجال من المتكلمين الأعاجم الذين ضعف نصيبهم من السليقة العربية، باقتفاء أثر أرسطو فيما ألف من الشعر والخطابة والمنطق، وتشربوا مما ترجم من الفلسفة اليونانية وما تولد منها، وبني عليها في الحواضر الإسلامية من الفلسفة وعلم الكلام والفقه وأصوله وشتى فروع الجدل الفكري المحض في الثقافة الإسلامية الناشئة.

[١٦] مقال: حمداوي. جميل. (ديسمبر، ٢٠٠٦م). اللغة العربية وتدريس العلوم. المقال منشور على صفحات (الإنترنت).

أما موقف المعاصرين من التراث اللغوي القديم؛ فعلوم البلاغة العربية عند هؤلاء، وخاصة علم المعانى ومباحثها أقرب إلى علمي المنطق والكلام منها إلى أن تكون بحثا بلاغيا، فقل ما نجد في مباحث هذا النوع من العلوم الذي عدوه سيد العلوم البلاغية، وفي (نكاته) التي يتصيدونها ما يشحذ حسا فنيا أو يصقل ذوقا أدبيا أو يلفت إلى سر حقيقى من أسرار البلاغة العربية بل هي تزيد ذوق المتأدب فسادا وتشويها.

أما علم البيان، وإن دار على وسائل تصويرية صحيحة من تشبيه ومجاز مرسل واستعارة وكناية، فقد نظر نظرة محدودة جدا إلى هذه الوسائل، ولم يكد يفهمها إلا كقوالب جامدة برع في تقييد ظواهرها الشكلية وتسميتها بالمصطلحات".

فنحن لا نؤيد هؤلاء الذين يقولون: "بأنه ما نضجت موهبة شاعر ولا كاتب قط بدرس علوم البلاغة"،[١٧] كما يرى عبد العزيز البشري أن كتب البلاغة لا تنهض بدارسها إلى أن يكون بليغا فصيح اللسان قوي

[١٧] ثورة على البلاغة، محاضرة ألقيت في الجامعة الأمريكية نشرتها مجلة الهلال بالعدد الرابع من السنة السادسة، ص: ٢٦٦

البيان، وأن هذه العلوم لا تؤدي إلى البلاغة[١٨] أو كما وضع البعض علامة السؤال على العلوم البلاغية قائلا: ولكن ما فائدة هذه الدراسة النظرية؟ ولما وُجِّهَ هذا السؤال إلى المناطقة ورجال علم البلاغة، قالوا: بأن علمهم من الوسائل للتربية العقلية والمرانة على طرق البحث العلمي الصحيح على أن الإنسان يمكنه الاستغناء عن المنطق مادام تفكيره صوابا، ولكن من يستطيع أن يضمن لنفسه أو لغيره حكم الصواب وعدم التورط في الأخطاء، ولاسيما في المسائل الملتوية العويصة؟ ومثل ذلك يقال عن النحو والعروض.. وقالوا أيضا: بأننا نعترف بأن هناك من ذوي المواهب البيانية والاستعداد الفطري لإنشاء الأدب الجميل، ولكن هؤلاء أنفسهم معرضون للوقوع في أخطاء شتى.[١٩]

وكذلك لا نؤيد هؤلاء الذين يذهبون إلى إلغاء العلوم البلاغية، لأننا نرى أن هؤلاء يجعلون تلك الجهود كلها ضائعة، أو يقللون من أهميتها سواء كانت تلك الجهود بذلت من الأعاجم أو من العرب لأن العلوم العربية ازدهرت في العصر العباسي بعد أن تمخضت عنها الكتب القيمة

[١٨] الأغاني. سليمان. (بدون تاريخ) قادة البيان في كافة الأزمان. القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة. ص: ١٢٦

[١٩] الشائب. أحمد. (١٩٩٥م،). الأسلوب. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. الطبعة التاسعة. ص: ٣١-٣٢

لهؤلاء الذين حددوا أساسا متينا لعقيدة الإسلام أو نظاما محكما له، ونجحوا في الدفاع عنه ضد الزنادقة والملحدين والمشركين من المزدكية والمانوية والسبئية دفاعا شديد الحيوية، لا نكاد نعرف له مثيلا قط في تاريخ الفرق الدينية. ولا شك أن الإسلام قد سيطر على ساحات شاسعة إثر فتحه العظيم، وحل محل معتقدات قديمة، وديانات عتيقة، واكتسح تماما آثار الفكر القديم، فاعتنقه كثيرون من اليهود والمسيحيين، وانتشر المزدكيون ومتبعو الديانة المانوية والسبئية بين المسلمين، وقد حملت هذه العناصر الأجنبية أفكارها ومذاهبها التي أثارت العالم الإسلامي. فحاول هؤلاء البلاغيون وعلماء الكلام إقناع خصومهم، واستطاعوا بموهبتهم البارزة في الجدل والمناظرة الانتصار عليهم في النهاية.

وأما القول بأن هذه العلوم قد دَوَّنَها في الأغلب رجال من الأعاجم الذين ضعف نصيبهم من السليقة العربية، نشم منه رائحة النزعات الشعوبية، ولكننا لا يمكن أن نقول إن الناقد المعاصر في قوله هذا متأثر بالنزعة الشعوبية بين الفرس والعرب، التي لا وجود لها في العصر الحديث، وإنما الراجح أنه متاثر بفكرة الجنس عند (تين)، الذي كان معاصرا لـ(رينان) الذي عاش فيما بين (١٨٢٣م–١٨٩٢م) والذي كان يعلى شأنها علوا كبيرا على نحو ما يوضح ذلك كتابه (تاريخ اللغات السامية).

إلا أن هذه النظرية لم تعد تجد لها أنصارا اليوم، وهل الجنس إلا أناس سكنوا إقليما واحدا أخذوا يعيشون فيه معا معيشة تكونت في أثنائها عاداتهم وتشابهت معارفهم، ومن قديم تغير الأجناس والشعوب بعضها على بعض وتنزل جيوش إقليم إقليما آخر، وقد تظل به حقبا، ففكرة الجنس الصافي فكرة خاطئة. وكثيرا ما روج الأوربيون لفكرة أن الجنس الأبيض يتفوق على الجنس الأسود، ليتمكنوا لأنفسهم من استعماره ويحصدوا لأنفسهم ثمار أرضه، وليس البياض والسواد رمز تقدم وتأخر، إنما هي تطورات الحياة الإنسانية في الأمم، فيجب أن نحذر فكرة الجنس التي أثارها (رينان) وأخذ بها (تين) والتي أخذ بها ابن خلدون، وجعل العرب أنفسهم محورا لحديثه عن الجنس كانوا في الجاهلية يحيون حياة أولية، وأخذت حياتهم بعد الإسلام في التطور، فوضعوا القوانين وأقاموا الدول والمماليك وأصبح لهم فلاسفة ومفكرين عظام، واختلطوا في أثناء ذلك بكثيرين من الأمم والشعوب التي عرفوها، حتى غدت كلمة "العربي" لا تدل على الجنس، وإنما تدل على اللغة، فالعربي هو الذي يتخذ العربية أداة للتعبير عن فكره ووجدانه، مهما يكن إقليمه ومهما يكن جنسه الذي ينحدر منه.[٢٠]

[٢٠] ضيف. شوقى. (١٩٧٢م). البحث الأدبي. القاهرة: دار المعارف. الطبعة السابعة. ص: ٨٨-٨٩

ومعنى ذلك كله أنه يجب أن نحتاط إزاء هذه الفكرة، تنفيذا لتعليم نبينا ﷺ (يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ)[٢١].

وكذلك نرى في العصر الحديث أن بعض المتعلمين الذين تثقفوا ثقافة عصرية في الغرب – يعتبرون أنفسهم من العرب وهم ليسوا من العرب أصلا – يفهمون أن العربية لغة تراث ميت، وهذا غير صحيح، لأنها هي لغة تراث لا يزال حيا. وهؤلاء يقللون من جهود العباقرة من أسلافنا، وكتبهم القيمة، ويستهزءون باختيار اسم خاص لها وهو "الكتب البرتقالية". وذلك على الرغم من أنها هي التي كانت ذلك المعين الصافي الذي استقت منه العلوم اللغوية والأدبية والنقدية ومناهجها في الغرب، والحق يقال إن مناهج العلوم والفنون والدراسات الأسلوبية الحديثة في الغرب ليست سوى جدول صغيرة تتساقط في بحر العلوم العربية المدونة في هذه الكتب البرتقالية.

[٢١] الراوي: جابر بن عبدالله (المحدث: الألباني). المصدر: غاية المرام. الصفحة أو الرقم: ٣١٣، خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء) (١٠٠/٣)، والبيهقي في (شعب الإيمان)، (٥١٣٧)). (هذا حديث معروف يمكن أن نراه في أي كتاب من كتب السنن الستة أو صفحات الإنترنت).

## الخاتمة

وفي ختام حديثنا نقول: يجب أن يعلم هؤلاء أن المذاهب والنظريات تمثل دائما روح عصرها، ولكل عصر منطقه، فالنقد الأدبي القديم أو النقد البلاغي العربي يمثل عصرا له منطقه، والنقد الأدبي الحديث له منهجه. ولا إنكار أن النقد الأدبي قديما وحديثا قد ازدهر باتصاله بالآداب الأوروبية كما ازدهرت الآداب الغربية باتصالها بالآداب الشرقية، والبحوث الأدبية يجب أن تكون خالية من النزعة الشعوبية والتعصب الأعمى والغرور القومي الأحمق.

وكذلك نحن لا نوافق على من يقول أن الكتب البلاغية وخاصة "نظرية النظم" لعبد القاهر الجرجاني أفسدت الأذواق العربية بدلا من تربيتها وتنميتها، ونقول له يجب ألا نشك في نيئة المتقدمين من النقاد البلاغيين الذين أضافوا إلى المكتبة العربية والإسلامية إضافات علمية قيمة هائلة بجهودهم الضخمة، فبدلا من أن نعترف بعبقريتهم في هذا الباب، كيف يمكن أن نلومهم ونضعهم في قفص الاتهام بأنهم استخدموا المنطق الأرسطي؟

نعم.. استخدموه ليتمكنوا من الرد على منطق أعداء الإسلام بلسان منطقهم العقلي –كما فعل الإمام الغزالي–، ولأن ذلك العصر كان لا يفهم أى منهج سوى المنطق الأرسطي، وكذلك نحن لا نستسلم لمن يتهم بأن الإسلام بعجزه عن أن يسمع أو يقبل أى عنصر من الحياة المدنية والاجتماعية نزع من أرضه كل بذرة للثقافة العقلية، كما قال (رينان) وتحدث تلميذه (جوتييه) بنفس الأسلوب، فيؤكد أن (العقيدة الإسلامية أقل قابلية من أى دين آخر لمبادرات العقل الإنساني) فلا شيء أكثر خطئا من ذلك.

نعم.. لا نؤيد هؤلاء الذين يقولون إن الجهود البلاغية مضللة، أو لم تنتج شيئا ذا قيمة، أو جهود ضائعة، ونحن على يقين أن هؤلاء لا يشعرون بخطورة هذه الجمل الضارة الخطيرة للغاية، التي يمكن أن يبتعد بها الدارس المسلم عن كتب المتقدمين القيمة، ولا يلتفت إليها قط إهمالا لتلك الجهود الضخمة التي لم تفقد فاعليتها حتى الآن. هذه الجمل خطيرة جدا، لأنها تهدم بناء الفكر الإسلامي الموروث، ولأنها تتعارض مع هدف المسلمين المنشود الذين يبذلون قصارى جهودهم لإحياء التراث العلمي والثقافي لأمجادهم المسلمين المفكرين العباقرة الذين ساهموا في تأسيس بناء الثقافة الإسلامية بناءا محكما.

والكاتب أو الأديب الناقد الذي ينقد اليوم ويقول إن الجهود البلاغية هي عقيمة. يجب أن يقوم الناقد بتقييم تلك الجهود البلاغية في عصورها، التي بذلت من قبل علماء البلاغة العربية آنذاك. وكيف نقول إن تلك الجهود عقيمة، وهي ناجحة في تحقيق أهدافها المنشودة، وهو إغناء العلوم والآداب الإسلامية، بل هي التي تمخضت عنها العلوم العربية الإسلامية وازدهرت، حتى بدأت تعرف بها تلك العصور بعصور نهضاتها الزاهية. فلكل عصر منطقه الخاص، ولكل مذهب تعبيره الخاص لتصوير حالة نفسية معينة لعصر معين.

فنحن نشكر لهؤلاء العلماء العباقرة ونعترف بفضلهم الذين ساهموا في وضع حجر أساس للثقافة الإسلامية، وخاصة الكندي والفارابي وابن سيناء والغزالي وابن رشد من فلاسفة الإسلام، وقدامة بن جعفر وابن وهب والجاحظ والعسكرى والباقلاني والروماني والجرجانى وغيرهم من علماء البلاغة العربية، والمعتزلة والأشاعرة من علماء الكلام الإسلامي، الذين انتصروا على خصومهم بمنطقهم العقلي ومنهجهم الجدلى، وحافظوا على عقيدة الدين الإسلامي الحنيف بسلاحهم المنطقى، وكانت لهم مواقف جليلة وبصمات واضحة في حماية الدين الإسلامي، والدفاع عن عقيدته ورسالته بكل إخلاص وحماس وأمانة، وغيرتهم الإيمانية تتجلى من كل كلمة خرجت من ألسنتهم وأقلامهم.

**المصادر والمراجع:**

الأغاني. سليمان. (بدون تاريخ) قادة البيان في كافة الأزمان. القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

ثورة على البلاغة، محاضرة ألقيت في الجامعة الأمريكية نشرتها مجلة الهلال بالعدد الرابع من السنة السادسة.

الدسوقي. عمر. (١٩٧٩م). حازم القرطاجني. (مقال) مجلة الثقافة، عدد فبراير، أصدرتها وزارة الثقافة المصرية، القاهرة.

سلام. محمد زعلول. (بدون تاريخ). أثر القرآن في تطور النقد العربي. القاهرة: دار المعارف.

الشائب. أحمد. (١٩٩٥م،). الأسلوب. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. الطبعة التاسعة.

ضيف. شوقى. (١٩٧٢م). البحث الأدبي. القاهرة: دار المعارف. الطبعة السابعة.

ضيف. شوقى. (١٩٧٢م). البحث الأدبي. القاهرة: دار المعارف. الطبعة السابعة.

قدور. أحمد محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر.

قدور. أحمد. محمد. (١٩٩٦م). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر المعاصر.

المسدي. عبد السلام. (بدون تاريخ). قاموس اللسانيات.

مندور. محمد. (بدون تاريخ). الأدب وفنونه. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.

المقال بعنوان: "مساهمات اللغويين في تطوير العربية" (ديسمبر ٢٠١٢م) (إنترنت).

مقال: حمداوي. جميل (ديسمبر، ٢٠٠٦م). اللغة العربية وتدريس العلوم. (ديسمبر، ٢٠٠٦م) المنشور على صفحات (الإنترنت).
https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/٦٦٩١٨.html

مقال: حمداوي. جميل. (ديسمبر، ٢٠٠٦م). اللغة العربية وتدريس العلوم. المقال منشور على صفحات (الإنترنت).